محاضرة الخامسة :

) العوامل المساعدة على الحراك الاجتماعي:

ناقش " سوروكين" في كتابه " الحراك الاجتماعي" العوامل المؤدية إلى الحراك الاجتماعي تحت عنوانين منفصلين، الأول تحت عنوان قنوات الحراك الرأسي، و الثاني بعنوان عوامل الحراك الاجتماعي الرأسي، و لأهمية هذا الطرح نوردهما في ما يلي :

أولاً: قنوات الحراك الرأسي

و يرى " سوروكين " أن ثمة أنظمة بعينها تعد بمثابة قنوات للحراك الاجتماعي الرأسي داخل البناء التدريجي، نذكر منها :

أ) **الجيش:** من خلال استقراء التاريخ القديم و الحديث على دواء يوضع، لنا كيف أنّ الجيش قد كان قناة مهمة في الحراك الاجتماعي، فالحروب ممكن أن تثبت "ذكاء و تفوّق أي جندي من طبقات المجتمع الدنيا أو الوسطى في نفس الوقت الذي ممكن أن تثبت فشل أي جندي من أصل نبيل" و قد اتبع " سوروكين " مجموعة من الاحصاءات التي دعم بها تحليله حيث أنه من بين 92 إمبراطوراً رومانياً الذين حكموا روما نجد على الأقل 36 إمبراطوراً وصلوا إلى قيادة الجيش من الطبقة الدنيا، فالجيش كان بمثابة السلم أو الرابط والوصل الاجتماعي للطبقة الوسطى أو الدنيا في التحرك اجتماعيا إلى الأعلى [1].

[1] - غريب سيد أحمد و آخرون، علم الإحصاء دراسة المجتمع، دار الجامعة للنشر، الإسكندرية، مصر، ص 192.

ب) الهيئات و المؤسسات الدينية :

إنّ المؤسسات و الهيئات الدينية تعد بمثابة قناة للحراك الاجتماعي الرأسي و ذات دور رئيسي فيه، و إنّ هذا الدور قليل الأهمية في عملية الحراك الاجتماعي في المراحل الأولى من سوء النظام الديني، و كذلك في فترات ضعفه، فكما يقول ما كنت فيرى أنّ الاختلافات العقادية بما فيها الأكثر أهمية منها، مثل تلك التي تدور حول القضاء و القدر و حول النعمة الإلهية كانت تتمايز في تركيبات و معادلات فائقة التنوع و كانت تشكّل عموما. منذ بداية القرن السابع عشر، عقبة في وجه صيانة الوحدة الطائفية و الطبقية، لاشك أن التحرر في الاتجاه الاقتصادي يبدو بمثابة أحد العوامل التي ينبغي أن تعزّز الميل إلى التشكيك أيضا بالتراث الديني، فاحتكار الكاثوليك للقوى العاملة واحتكارهم للحراك الاجتماعي، فمن المعروف أنّ المصنع اختار ضمن حدود كبيرة، اليد العاملة المصنفة من بين الأجيال الثابتة من صناع المهجر الذي يقسم لهم مجال للتدرب في المحترفات مما أصبحوا يشجّعون الحراك الاجتماعي، أما البروتستانت فيشكلون الكوادر العليامن اليد العاملة بالمهمات الإدارية [2].

– بالتالي فإنّ الهيئات و المؤسسات الدينية تلعب دورا في تنمية الحراك الاجتماعي فأما على المستوى العقيدة الاسلامية و إن دورها كان عظيما سواء على مستوى الأفراد و الجماعات و تكفي الإشارة إلى أن عبيدا و أرقاء كانوا قبل الإسلام ، و بعد الإسلام أصبحوا ذوي هيبة و مكانة عليا كـ: بلالابن رباح و زيد بن الحارثة و عمار بن ياسر...الخ، و بخصوص الحراك الاجتماعي بالنسبة للمسلمين العرب كان الحراك صاعدا فتحرك المجتمع إلى مصاف الأمم.

ج) التعليم :

يلعب التعليم دوراً مهما في الحراك الاجتماعي و من بين الأطروحات التي تناولت ذلك أطروحة : " كرامتشي "، حيث تعلم أن الأسبقية للتربية و التعليم في الحراك الاجتماعي على حساب العامل الاقتصادي، حيث يرفض "غرامشي"مفهوم الديمقراطية البرجوازية، فالمدرسة التي تطبق فيها هذا النوع من الديمقراطية لا تلبث أن تحنق المبادرات الشخصية للأفراد في الوسط الاجتماعي و السياسي، فيجب على المدرسة أن تتجنب الانقسامات الطبقية [(3)].

فيجب على الفاعلين الاجتماعيين على حد قول " غرامتشي " إلغاء الانقسامات الطبقية في ميدان التعليم و ضرورة تساوي جميع أفراد المجتمع في حظوظهم في ميدان التعليم.

---

[2] - ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية، ث : محمد علي مقلد، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، بدون ذكر السنة النشر، ص 18.

[3] - عبد العزيز راس المال: المرجع السابق، ص 52.

د) الأحزاب السياسية:

تلعب الأحزاب السياسية دورا في تنمية الحراك و العكس، فيمكن طرح العواقب السياسية من تنقل للأجيال بالنسبة للطبقة السياسية، و إثر ذلك على الطبقات الأخرى، و بالنسبة أيضا للأبعاد الثلاثة المعروفة كالتفوق العرقي و السلطوية و الليبيرالية الاقتصادية و هذا ما استمرت به شعوب أوروبا و سياساتها.

أيضا نطرح كموضوع " النزول الاجتماعي والتنقل السياسي وإعادة بناء نظام القيم وسياسية التفضيل، فالهوة والفجوةبين النخب السياسية و بعد المسافة بينها وبين القوى العاملة ، يؤثر على درجة الحراك الاجتماعي وأنماطه وأنواعه فالتدرجالحزبي يكرس مرونة الحراك الاجتماعي، حيث أنّ التدريج الحزبيالذي يساعد في الانتقال من الفئات الدنيا والوسطى إلى فئة القيادة في الدولة يساعد في التدريج الاجتماعي، أيضا طغيان الممارسة السياسية على حساب الممارسات الاجتماعية يؤدي إلى تقريب الحراك الهابط وذلك راجع إلى إهمال دور السياسة في ازدهار المجتمعات والاحتكار السياسي لمراكز القوة والثورة.

هـ) الأسرة والعائلة:

يرى سوردكين أنّ الزواج الذي يتم بين شخصين من طبقة اجتماعية مغايرة يؤدي إلى تغيير الوضع الطبقي حتما لدى الطرفين، فإما أن يرفعه أو أن يحط من قدره، وهذا هو الطريق الذي عبره بعض الناس وضعوا من حلال سيرهم وحياتهم، والبعض الآخر هو زواج غير متكافئ.

من جهة أخرى"مورغان" إنّ العائلة هي العنصر النشيط فلم تكن في يوم من الأيام ثابتة ولكنها تمر من الشكل الأدنى إلى الشكل الأرقى، ومن جانب آخر حينما تكون الأنظمة القرابية سلبية، فإنّ العائلة تحقق تقدما لمدة طويلة من الزمن، هاته الأنظمة لا يطرأ عليها تغير جذري ما لم يطرأ على العائلة تغيّر جذري، إذن فالعائلة باعتبارها خليّة أساسية في المجتمع تتأثر بمختلف المؤسسات الموجودة مثل المدرسة والمجتمع، وهذه الأنظمة تتبع التغيرات التي تحدث في البنية العضوية للعائلة[4].

[4]- عبد العزيز راس المال: المرجع السابق. ص42.43.